ط — وإذاً فقد كنت محقاً فى قولى إن المرء يستطيع أن يفعل فى الدولة ما يسره دون أن يكون عنده من أجل ذلك قوة كبيرة أو دون أن يكون فاعلا لما « يريد » !

ب — وما دام من شأنك يا سقراط أنك لا تفضل أن تكون « حراً » فى الدولة بحيث تفعل ما يسرك ، على أن تكون بعكس ذلك ، أفلا تحسد من تراه يقتل ويسلب ويقيد بالحديد من يسره أن يفعل معه ذلك ؟

ط — أتقصد أنه يفعل ذلك عدلا أم ظلماً ؟

ب — ليكن عدلا ذلك أم ظلماً ، أفلا ترى أنه جدير بالحسد فى كلتا الحالتين ؟

ط — قل شيئاً أفضل من ذلك يا بولوس !

ب — ولم لا ؟

ط — لأننا يجب ألا نحسد من هم ليسوا جديرين بالحسد كما لا يجوز أن نحسد الأشقياء والتعساء ؛ بل يجب على النقيض أن نرحمهم يا بولوس[1] !

ب — ماذا ؟ أترى أن أولئك الذين أتحدث عنهم جديرون بالرحمة ؟

ط — وكيف لا يكونون جديرين بها ؟

« يتبع »

محمد حسن ظاظا

(١) ذلك هو المسيح عليه السلام فى ثياب أفلاطون ! أو هو أفلاطون فى ثياب المسيح ، فترى هل ينصت العالم اليوم لتلك الرسالة العليا ؟
(المعرب)

اقرؤا الديوان الخالد

« هكذا أغنى »

للشاعر الفذ محمود حسن إسماعيل

وديوان الطبيعة ، والفن ، والجمال

ظهر حديثا — ويطلب من المكتبة التجارية الكبرى وسائر المكاتب الشهيرة بمصر والأقطار العربية ومن صاحبه بادارة الشئون العامة بوزارة المعارف

الثمن ١٠ قروش — وللجملة أسعار خاصة

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

— ١٨ —

متى كان الشاعر صادقا فى شعوره وتعبيره ، صاحب خصوصية فى فهم الحب والحياة ، متعدد الجوانب منفسح الآفاق ؛ كثرت فى غزله — وفى شعره كله — صور « الحالات النفسية » — وهى الخاصة التى رصدنا لها هذا المقال فى غزل العقاد — ولم يقف فى الغزل عند الصور العامة الشائعة ، لأنه معنيٌ باظهار خاصة نفسه ، وتصوير خلجات ضميره .

وخصائص العقاد العامة — كما قلت فى الكلمة الماضية — لا يخطئها الناقد فى كل بيت له وكل قصيدة ، حتى ليستطيع دارسه أن يثبت له أو ينفى عنه أقوالا لم يعلم صدورها عنه . وبعض إخواني الآن يتفكه معى ، فيعرض على أقوالا منثورة ومنظومة ناسبا إياها للعقاد ، فلا أجد صعوبة ما فى نفى بعضها وإثبات بعضها ، وبيان حكمة النفى والاثبات بخصائصه العامة التى لا تخطئ ولا تتخلف

هذه الخصائص أشد وضوحا فى شعر « الحالات النفسية » بطبيعة الحال . وهذا الضرب من الشعر يمتاز فيه العقاد بالوفرة والتنوع والشمول ، كما يمتاز « بالخصوصية » والتفرد .

ولا بد من التنبيه إلى هذه الامتيازات . فشعر الحالات النفسية قد يكون ، ولكنه يكون ذا لون واحد ، أو قريبا فى غوره وانبساطه ، فلا يكون — إذ ذاك — ميزة للشاعر ، إلا من حيث إشارته إلى وجود البذرة الصالحة للانبات ؛ بذرة الاحساس الصادق الأمين .

والحالات النفسية التى سنعرضها فى هذا المقال فيها الطريف فى نوعه وشكله ، وفيها الشائع فى نفوس المحبين الصادقين ، ولكنه معروض فى شكل جديد ونسق واتجاه خاصين خصوصية العقاد فى عالم الشعراء

* * *

الصبابة المنشورة : الحب الذي طمسه السلوان ، وعفى عليه النسيان ، يمثله المقاد حيا ، ويشخصه جسما ، ويقول له ويستمع إليه ، ويعجب منه ويرثى لمصيره ، في جو مرهوب مسحور ، كجو البعث والنشور .

صبابة قلبي ! أقبل الليل غاضياً ... فهبي فقد يغشى الرفاتُ المغانيا
وقد تهجر الموتى القبورَ أمينة ... إذا الليل غشى بالرقاد المآقيا
وثوبي إلى الدنيا مع النوم فانظري ... مكانك قد أقوى وعرشك خاويا
وعري به من الغريب . وطالما ... تربعت فيه قبل ذاك لياليا
ولا تسألي : من بالديار ؟ فانها ... على موثق ألا تجيب مناديا
بدا شبح عار من اللحم ، عظمه ... يجاذب أضلاعا عليه حوانيا
يقاربُ في قيد المنية خطوَه ... ويمشي به ليلامع الليل ثانيا
وقال : سلام ! قلت : فاسلم وإن يكن
دعائي لميت بالسلامة واهيا !
من الطارق السارى ؟ فقال : صبابة
نعمت بها حينا وما أنت ناسيا
فقلت : أرى جسما عري من رواثه
وعهدي به من قبل أزهر كاسيا
جهلتك لولا مسحة فيك غالبت ... بشاشتها أيدي المنون المواعيا
جهلتك لولا هزة في جوانحي ... يدَ الدهر لا تبقي من الشك باقيا
ألا شدَّ ما جار البلى يا صبابتي ... عليك . فكيف استل تلك المعانيا
أأنت التي أسهرتني الليل راضيا ... وأنت التي أسكرت عيني صاحيا
وأنت التي كنا إذا الناس كلهم ... تولوا ، وجدنا منهمافيك وافيا ؟
وأنت التي جليت لي الأرض جلوة
أسائل عنها الأرض وهي كما هيا
أسائل عنها كل شيء رأيته ... أما كنت فينان المحاسن شاديا
نفخت بها روحا فنرد سامت ... ورنم جلمود ، وأصغيت لاهيا
فما ألمَّ البين لاذت بصمتها ... وأمسيت حتى بأذن الله صاغيا
وهل يسمع الصاغي إلى القبر نأمة ... ولو كان فيه «معبد» القوم ناويا
نعم أنت لولا ساتر من منية ... وحسبك ستراً بالمنية ساجيا
وإن إسراً ماتت خوالج نفسه ... لفد جمع الشربن حياً وفانيا
حياة لها حد ولا حد للردى ... فليت المنايا والحياة تواليا
كما تتوالى يقظة العيش والكرى ... وتعقب أنوار الصباح الدياجيا
إذن لتشوقنا الحمام اشتياقنا ... إلى النوم واشتقنا الحياة دواليا

درج الحب : الحب الظامىء المزبد ما يصل إلى غاية حتى يتطلع إلى ما وراءها ، وهي حالة من أصدق حالات الحب التي لا يلتفت اليها المحبون ، في حين أنها تكاد لا تتخلف في كل حب طويل .

أبصرته . فـوددت ألزمه ... باللحظ في حل ومرتحل
وطفقت أرجو أن يحادثني ! ... فبلغت ما أرجـو على مهل

حادثته والنفس شـيقة ... للنهل من فيه وللعلل !
وتهم تتبـع كل بادرة ... من فيه بالثمات والقبل

قبلتـه فتجددت علل ... غير التي داويت من علل
الآن أطمع أن أكون له ... ويكون إذ يمسي ويصبح لي !
وأكاد أشفق أن تراعيـه ... ـ حرصاً عليه ـ شواردُ المقل !

في القلب شيطان يقول له ... زِدْ ، كلما أوفى على أمل
بالوكف لا ترضى فواعجبي ... كيف ارتضينا أمس بالبال ؟

اليوم الموعود : وليس هو يوم لقاء عادي ، ولكنه يوم سيجعل له من جنته التي يخطر فيها كالغريب ملكا ذلولا ، يلتذ فيها التذاذ المالك الحر المنطلق من قيود الوله والضرورة والخلسة إلى آفاق المتعة المطلقة الراوية الفريرة . وهي قطعة من ثمرات النضوج الفني والنفسي ، ومن قطوف الحس الرقيه المترف الذي يفرق بين أدق ألوان الشعور

وفي أولها تعبير مبتكر طريف عن اللهفة إلى الموعد المرتقب حين يقول :

يا يوم موعدها البعيد ألا ترى ... شوقي إليك ؟ وما أشاق لمنعم
شوقي إليك يكاد يجذب لي غدا ... من وكره ويكاد يطفر من دمى
أسرع بأجنحة السماء جميعها ... إن لم يطلك جناح هذي الأنجم
ودع الشموس تسير في داراتها ... وتخطها قبل الأوان المبرم
ما ضر دهرك إن تقدم واحد ... يا يوم من جيش لديه عرمرم ؟

ثم يأخذ في بيان مهمة هذا « اليوم الموعود » وتفرده في الأيام ، وما عقد بمفرقه من تحول في هذا الحب إلى الطلاقة والاستقرار :

لي جنة يا يوم أجمع في يدي ... ما شئت من زهر بها متبسم
وأذوق من ثمراتها ما أشتهي ... لا تحتمي مني ولا أنا أحتمي
وتطوف من حولي نوافر عصمها ... ليست بمحجمة ولست بمحجم

وتلذ لى منها الوهاد لذاذتى ... بتصعد في نجـــدها وتسنم
لم آسَ بين كرومها وظلالهـا ... إلا على ثمر هنـاك محرم
فكأنما هي جنـــة فى طيها ... ركن تسلل من صميم جهنم
أبدا يذكرنى النعيمُ بقربها ... حرمانَ مزءود وعسرة معدم
وأبيت فى الفردوس أنعم بالمنى ... وكأننى من حسرة لم أنعم
يا يوم موعدها ستبلغنى المنى ... وتُتم لى الفردوس أى مُتَمَّم
لا غصن رابية تقصر راحتى ... عنـه ، ولا ثمر يعز على فمى
سأظل أخطر كالغريب بجنتى ... حتى أثوب على قدومك فاقدم
فأبيت ثم إذا احتوانى أفقها ... لم أنهَ عن أمل ولم أتندم
فرحى يصبحك حين تشرق شمسه
فرح الضيـاء سرى لطرف مظلم

ثم يختم القصيدة بخاطرة هي إحدى « خصوصيات » العقاد فى فلسفة الحرية والضرورة ممزوجة بعاطفة الحب ، فيرى الوله نوعاً من نداء الضرورة لا يليق بالخلد الذى تشبع فيه الرغبات ، وتفر القلوب وتحس بالحرية والانطلاق من الضرورات :

أمميرتى خلد السماء سماحة ... صونيه عن وله صيانة مكرم
رفقا بخلدك أن تشوبى صفوه ... إن لم ترىْ رفقا بمهجة مغرم

الليلة الفطيم : المتعة الخاصة التى لا يغنى عنها سواها ، لأن لها أما لا يغني عنها سواها ، ولو كن جميلات شهيات ، فاذا اجتمعن ولم تحضر هذه « الأم » فالليلة الفطيم لا ترضع ثدياً آخر ولا تجد متعة أخرى !

ياله من طريف !

بكت الليـلة الفطيم شجاها ... ما بكاء الفطيم بين الثدىّ
الثدى الحسان تبغي رضاها ... ما لثغر الفطيم غير رضىّ ؟
لو أرادت لكان عند مناها ... كل صدر ، وكل نهد شهى
أمها ! أمها ! وليس سواها ... ذات صـدر على الشفاه ندي

ثم يخاطب ليلته هذه خطاب الأب الوائق ، يداعب طفلته واليقين يملأ نفسه ، والرضا يطلق البشاشة والدعابة فى وجهه ولسانه:

ليلتى . ليلتى . الحزينة صبرا ... ليس هـذا الفطام بالأبدىّ
سوف تروين من أميمك ثغرا ... فارضى الآن من دموع الشجى
واذرفى هـذه المدامع غزرا ... هل يضير البكاء عين الصبي ؟
من أذاب الرضا وعينيه مهرا ... فى ارتقاب النعيم ، غير شقى

يوم : يوم أوله لقاء ومتاع ، وآخره فرقة ووحشة . وهو يوم يمر على كل حبيبين ، وهى وحشة تلمس كل قلب في هـذا الموقف ، ولكن العقاد وحـده هو الذى يعبر هذا التعبير ، وهو الذى يستقصى كل شوارد الاحساس ، ويتتبع كل مطارح الشعور ويفصل كل هواجس الضمير

ذهب الليـل ودار الملوان ... وشدا قبل الصباح الكروانْ
ومشى الصبح على مهل كمن ... يطرق الدار على غير أمان
وتلمست هنـــا تغريدةً ... فى فمى تصدح فى هذا الأوان
قبـلة منك هى الفجر وفى ... طيها تبـدو ثناياه الحسان
عن شمالى كلما ولى الدجى ... وسرى فجر وحنت شفتان
وتراءت نظرة ناعســـة ... عند أخرى فتلاقت نظرتان
بان ليـلى لا تسلنى كيف بان ... أنت تدرى فاغتفر عِىَّ البيان
كلما يممتُ دارى قلت لى ... أجناحان لنـا أم قدمان ؟
فأتيت الدار لا أحسبها ... قربت قط ودونى خطوتان
لم أكن أطلبها ويحى ولا ... أطلب الهرب منها حيث كان
أين أمضى ؟ أين تحدونى الخطا ؟ ... ضاقت الدار وضاق المشرقان
راعنى نقص بعينى ويدى ... وفمى الصـادى وقلبى واللسان
خلتنى بدلت منهـــا غيرها ... ولو استبدل لها الخطب لهان (١)
أهزيع منك يا ليل مضى ؟ ... أمضى نصف ؟ أما ينشطران
بان ليلى ؟ لا تسلنى كيف بان ... حاطك الله من الليل وصان
إى وربى بان . لكن بعد ما ... نفدت ساعات عمرى فى ثمان!
لا زمانٌ حيثما لاقيتنى ... فاذا فارقتنى كان الزمان
طلع الصبح حزيناً عاطلا ... أتراه كان بالغرب يزان ؟
وسرت أنفاســـه يا حسرتا ... أين أنفاسك يا زين الحسان ؟
نسمات الصبح أورت كبدي ... فحجبت الأنف عنها والعيان

ثم ماذا ؟ ثم يرى أن يتسلى بالقراءة ، وأن يستمع إلى أصدقائه وخاصته من دواوين الشعراء . فاذا يكون ؟

وتمشيت إلى كتبي على ... مضض منى وللكتب أوان
يا « أبا الطيب » لا نهرف . ويا ... صاحبى « الروى » ماهذا الرطان!
شعراء الشرق والغرب أما ... تملكون الصمت يوما فى عنان ؟ !
أو فهاتوا الشعر لى صرفا بلا ... أحرف في الطرس منه أو معان
أفرغوه جمـــلة فى خاطرى ... ليس لى بالطرس والدرس يدان
رب شعر شاقنى لما تكد ... شفتا قائله تنفرجان !

(١) لو بدله الخطب من عينه ويده وفمه وقلبه ولسانه ، أخرى جديدة لهان هذا الخطب فانما يحس حينئذ بجوارح غير جوارحه التي تنفل اليه الالم !